تَعْلِيقٌ مَعْسُوْلٌ

على

ثلاثَة الأصولِ

للإمام المُجَدد

مُحمد بن عبد الوهاب النجدي

رحمه الله تعالى

(١١١٥هـ _ ١٢٠٦هـ)

تعليق أبي محمد

عبد الله بن عَبد الباري بن محمد

التعَزي الماوي

بسم الله الرحمن الرحيم

تَعْلِيْــقٌ ميسر لتدريس كتاب

" ثلاثة الأصول "

لشيخ الإسلام مُحمد بن عبد الوهاب النجدي

رحمه الله تعالى

(مقدمة)

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا [1]، من يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء آية: ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧١]

أما بعد ، فإنّ أصدق الحديث كتاب الله جل وعلا، وخير الهدى هُدى نبينا الكريم محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

[1] شرور الأنفس هي: الذنوب، وسيئات الأعمال هي: عقوباتها. انظر " قاعدة جامعة في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة " (٨٤) ، " الجواب الكافي " (١١٥).

أما بعد / فإن رسالة ثلاثة الأصول من الرسائل التي جعل الله تعالى فيها النفع والبركة، فمنذ عهد المصنف إلى يومنا هذا لا زالت مقررة في كثير من أماكن تعليم التوحيد والسنة، وليس يخفى عليَّ أنه قد كثرت شروحها للغاية!

ولكني كُلِّفْتُ بتدريسها، فأحببتُ أن أدوِّن تعليقات قد أحتاج إليها، وتكون شرحاً مختصراً مناسباً للتدريس؛ لاحتياجي إلى ذلك، وإلا فلا شك أن شرح كتاب قد تناوله كبار العلماء بالشرح قد يكون غير لائق، لكن نحن أصلاً نغترف من علمائنا، ثم هذه مجرد مذكرة قصدتُ بها نفع نفسي، لكن مَن شاء أن ينتفع بها فليس عندي مانع، بل أتمنى، والله المستعان.

محتوى رسالة ثلاثة الأصول

يمكن تقسيم هذه الرسالة إلى مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة

احتوت المقدمة على ثلاث فقرات:

الأولى: مسائل يجب على طلبة العلم تَعَلُّمُها، وهي أربع:[العلم، والعمل به، والدعوة إليه، والصبر على الأذى فيه].

الثانية: مسائل يجب على كل مسلم تَعَلُّمُها، وهي:[الغاية من خلق الخلق، بيان بطلان الشرك بكل حال، الولاء والبراء]

الثالثة: بيان المِلَّة الحنيفيَّة الحقة.

والثلاثة الفصول هي صلب الكتاب وما يُفْهَمُ من عنوانه، وهي: معرفة الله تعالى، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام.

والخاتمة ذكر فيها مسألة البعث بعد الموت، ووظيفة الرسل، وبيان أولهم وآخرهم، وبيان معنى الطاغوت، وذِكْر رؤوسه.

ترجمة مختصرة للمصنف

هو شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن رشد بن بريد بن محمد بن مشرف بن عمر من بني تميم.

مولده: ولد هذا في بلدة العيينة سنة (١١١٥هـ) ، في بيت علم وشرف ودين، فأبوه عالم كبير، وجده سليمان عالم نجد في زمانه.

نشأته: حفظ القرآن قبل بلوغ عشر سنين، ودرس في الفقه حتى نال حظا وافرا وكان موضع الإعجاب من والده لقوة حفظه، وكان كثير المطالعة في كتب التفاسير والحديث، وجد في طلب العلم ليلا ونهارا، فكان يحفظ المتون العلمية في شتى الفنون، ورحل في طلب العلم في ضواحي نجد وفي مكة وقرأ على علمائها، ثم رحل إلى المدينة النبوية فقرأ على علمائها، ومنهم العلامة الشيخ عبد الله بن إبراهيم الشمري، كما قرأ على ابنه الفرضي الشهير إبراهيم الشمري مؤلف العذب الفائض في شرح ألفية الفرائض وعرفاه بالمحدث الشهير محمد حياة السندي فقرأ عليه في علم الحديث ورجاله وأجازه بالأمهات. وكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى – قد وهبه الله فهما ثاقبا وذكاء مفرطا وأكب على المطالعة والبحث، والتأليف وكان يثبت ما يمر عليه من الفوائد أثناء القراءة والبحث وكان لا يسأم من الكتابة وقد خط كتبا كثيرة من مؤلفات ابن تيمية وابن القيم – رحمهما الله – ولا تزال بعض المخطوطات الثمينة بقلمه السيال موجودة بالمتاحف.

ولما توفى والده – سنة 1153 هـ – أخذ يُعلِنُ جَهراً بالدعوة السلفية إلى توحيد الله وإنكار المنكر ويهاجم المبتدعة أهل الأوثان والأصنام، وقد شد أزره الولاة من آل سعود، وقويت شوكته، وذاع خبره.

مؤلفاته: وله مؤلفات نافعة منها:

1–كتاب التوحيد.

2–كتاب "كشف الشبهات".

3–كتاب "الكبائر".

4– كتاب "ثلاثة الأصول".

5– كتاب "مختصر الإنصاف والشرح الكبير".

6– كتاب " مختصر زاد المعاد".

7– وله فتاوى ورسائل جمعت باسم مجموعة مؤلفا الإمام محمد بن عبد الوهاب تحت إشراف جامعة الإمام محمد بن سعود.

وفاته: توفي عام (١٢٠٦هـ)، فرحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء إنه سميع مجيب والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. بقلم الفقير إلى الله تعالى فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان بتصرف يسير

بسم الله الرحمن الرحيم ([2])

اعلم رحمك الله أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل:

الأولى: العلم، وهو معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة.

(اعلم) هذه كلمة تنبيه، والتنبيه: الإيقاظ للشيء، فهو يريد من القارئ الانتباه لما سيذكره في هذه الرسالة؛ لأهميته.

(رحمك الله) هذه كلمة خبرية لفظاً، إنشائية معنىً أي: يُراد منها الدعاء. أي: ليس المقصود الإخبار بكون الله تعالى قد رَحِمَهُ، وإنما المقصود الدعاء له بالرحمة.

(العلم): إدراك الشيء على ما هو عليه في الواقع. وهو مرادف للمعرفة.

والعلم المقصود هنا هو العلم الشرعي، وهو الهدى الرباني.

والمعرفة المثمرة هي المستلزمة للعمل وإلا فإبليس يعرف ربه!

(يجب علينا) أي: يَتَعَيَّن ويلزم على كل عبد أن يتعلم (أربع مسائل)؛ لأن وجوده وحياته ومماته وسعادته أو شقاوته مرتبط بذلك.

---

[2] ابتدأ بالبسملة استعانةً بالله تعالى، واقتداءً بالكتاب العزيز فإنه مفتتح بالبسملة، وعملاً بسنة النبي صلى الله عليه وسلم ، ففي الصحيحين عن ابن عباس في قصة هرقل: " ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي بَعَثَ بِهِ دِحْيَةَ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى، فَدَفَعَهُ إِلَى هِرَقْلَ فَقَرَأَهُ، فَإِذَا فِيهِ : " بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ – عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ – إِلَى هِرَقْلَ – عَظِيمِ الرُّومِ – سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى.. "

قال النووي: فيه استحباب تصدير الكتب ببسم الله الرحمن الرحيم، وإن كان المبعوث إليه كافرا.
وقال ابن حجر: وقد استقرَّ عَملُ الأئمةِ المُصَنِّفين على افتتاح كُتب العلم بالبسملة، وكذا مُعظَم كُتب الرسائل. " فتح الباري " (٩/١) ، " شرح مسلم للنووي " (١٠٧/١٢) .

قوله: بالأدلة. جمع دليل، وهو: ما يوصِل إلى المَطلُوب.

يظهر أنه يمنع المعرفة بدون الأدلة، وهي التقليد، والتقليد يجوز في العمل، لكن لا يجوز في التعليم، ففي حال التلقي والتعليم لابد من البَرهنة والاستدلال، فلا يكون اتباع الآباء والمعظمين هو الحجة للأخذ، لكن في العمل يصح لو عمل الإنسان بما قلد فيه من أحسن الظن به إن وافق الحق؛ ولهذا فالعوام الذين بنوا إيمانهم على التقليد إسلامهم صحيح عند عامة أهل العلم، والله تعالى أعلم

المسألة الثانية: العمل به.

بوب النووي في " رياض الصالحين " : باب تغليظ عقوبة من أمر بمعروف أو نهى عن منكر وخالف قوله فعله

قال الله تعالى: ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾[البقرة: 44] ، وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ [الصف: 2 – 3] ، وقال تعالى إخباراً عن شعيب – صلى الله عليه وسلم –: ﴿وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه﴾[هود:88]

وعن أبي زيد أسامة بن حارثة رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: «يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتندلق أقتاب بطنه (أي: تخرج أمعاء بطنها)، فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى، فيجتمع إليه أهل النار، فيقولون: يا فلان، ما لك؟ ألم تك تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟! فيقول: بلى، كنتُ آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه». متفق عليه

وعالمٌ بعلمه لم يعملنْ معذب من قبل عباد الوثنْ

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلتَ عظيمُ

لكن ليس معنى ذلك أن الإنسان إذا منكراً من غيره وهو نفسه يقع فيه لا يُنكر عليه مخافة أن يقال له: حدث نفسك أولا!

فنعم يحدث نفسه، لكنه إن لم يفعل فليحدث غيره؛ لأنه مأمور بنهي نفسه، والإنكار على غيره، فإذا لم ينكر على نفسه وقع في ذنب، وإذا زاد على ذلك أنه لم ينكر على غيره كان هذا ذنباً آخر!

فإذا أراد التخفيف على نفسه من حمل الذنوب فلينكر على غيره على الأقل!

ولهذا فالعلماء يقولون: يجب على متعاطي الخمر أن يُنكر بعضهم على بعض.

في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان».

وروى أبو داود وغيره عن أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – قال: يا أيها الناس، إنكم لتقرؤون هذه الآية: ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يَضركم من ضل إذا اهتديتم﴾[المائدة:١٠٥] ، وإني سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه».

فالمقصود بالآية عليكم بهداية أنفسكم (ومن ذلك النهي عن المنكر)، فلا يضركم ضلال الضالين ما دمتم مهتدين؛ لأن المرء يحاسب على عمله، لا على عمل غيره.

المسألة الثالثة: الدعوة إليه.

هذه المسألة مندرجة تحت المسألة السابقة؛ فإن الدعوة إلى العلم من جُملة العمل بالعلم؛ لأن العلم يأمر صاحبه بتبليغه، ويرتب الفضل والخيرية لمن تَعلَّم ثم عَلَّم.

روى البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار».

وروى البخاري عن عثمان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه».

بوب النووي: باب في الدلالة على خير والدعاء إلى هدى أو ضلالة

قال تعالى: ﴿وادع إلى ربك﴾[القصص:٨٧] ، وقال تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾[النحل:١٢٥] ،

وقال تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾[المائدة:٢]، وقال تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير﴾[آل عمران:١٠٤].

وعن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري البدري – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – ﷺ–: «من دل على خير فله مثل أجر فاعله». رواه مسلم

وروى مسلم عن أبي هريرة – رضي الله عنه: أن رسول الله – ﷺ – قال: «من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة، كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا».

وفي الصحيحين عن سهل بن سعد أن النبي ﷺ قال: «فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم». متفق عليه

وروى مسلم عن جرير بن عبد الله البَجَلي مرفوعا: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها، وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها، ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء».

وروى الترمذي عن ابن مسعود – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: «نضر الله امرأ سمع منا شيئا، فبلغه كما سمعه، فرب مبلغ أوعى من سامع».

وقد رُتِّبَ الوعيد على كتمانه

فقد روى الترمذي وغيره عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سُئلَ عن عِلْمٍ فَكَتَمَهُ، أُلْجِمَ يوم القيامة بلجام من نار».

المسألة الرابعة: الصبر على الأذى فيه.

العلم الشرعي هو ميراث الأنبياء والمرسلين فقد روى الإمامان الترمذي وأبو داود عن أبي الدرداء أن النبي ﷺ قال: «إن الأنبياء لم يُوَرِّثُوا ديناراً ولا درهماً، وإنما وَرَّثوا العلم، فمن أَخَذَهُ أَخَذَ بحظٍ وافر».

ومعلوم أن الرسل صلوات الله تعالى وسلامه عليهم قد أوذوا أشد الأذية في سبيل الدعوة إلى العلم، فمن سلك سبيلهم لا بد أن يَناله من الأذى بقدر ما عنده من الاتباع لهم، فيحتاج أن يصبر على ذلك.

بوب البخاري: بَابٌ : أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ.

وهذه الترجمة لفظ حديث لكنه ليس على شرط البخاري، أخرجه الدارمي وغيره، وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم، عن سعد بن أبي وقاص قال: قلت: يا رسول الله، أيُّ الناس أشد بلاء؟ قال: « الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه » الحديث، وفيه: « حتى يمشي على الأرض وما عليه خطيئة ».

وروى أحمد عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ حُذَيْفَةَ ، عَنْ عَمَّتِهِ فَاطِمَةَ ، أَنَّهَا قَالَتْ : أَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَعُودُهُ فِي نِسَاءٍ فَإِذَا سِقَاءٌ مُعَلَّقٌ نَحْوَهُ يَقْطُرُ مَاؤُهُ عَلَيْهِ مِنْ شِدَّةِ مَا يَجِدُ مِنْ حَرِّ الْحُمَّى، قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ دَعَوْتَ اللَّهَ فَشَفَاكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءَ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ".

لعل المُصنف استفاد هذه الأربع من الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى ، فإنه قال:

فالجهاد أربع مراتب: جهاد النفس، وجهاد الشيطان، وجهاد الكفار، وجهاد المنافقين.

فجهاد النفس أربع مراتب أيضاً:

إحداها: أن يُجاهِدَها على تعلم الهدى ودين الحق الذي لا فلاح لها ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به، ومتى فاتها علمه شقيت في الدارين.

الثانية: أن يُجاهِدَها على العمل به بعد علمه، وإلا فمجرد العلم بلا عمل إن لم يضرها لم ينفعها.

الثالثة: أن يُجاهِدَها على الدعوة إليه، وتعليمه من لا يعلمه، وإلا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدى والبينات، ولا يَنـــفَعه عِلْمه، ولا يُنجِـــه من عذاب الله.

الرابعة: أن يُجاهِدَها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله وأذى الخلق، ويتحمل ذلك كله لله. فإذا استكمل هذه المراتب الأربع صار من الربانيين، فإن السلف مجمعون على أن العالم لا يستحق أن يسمى ربانيا حتى يعرف الحق ويعمل به ويعلمه، فمن علم وعمل وعلم فذاك يدعى عظيما في ملكوت السماوات.

" زاد المعاد في هدي خير العِباد " (٩/٣)

والدليل قوله تعالى: ﴿والعصر (1) إن الإنسان لفي خسر (2) إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر (3) ﴾[العصر]

قال الشافعي: لو ما أنزل الله حُجَّةً على خَلْقِه إلا هذه السورة لَكَفَتْهُم.

قال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي: أقسم تعالى بالعصر، الذي هو الليل والنهار، محل أفعال العباد وأعمالهم أن كل إنسان خاسر، والخاسر ضد الرابح.

والخسار مراتب متعددة متفاوتة: قد يكون خساراً مُطلقاً، كحال من خَسِرَ الدنيا والآخرة، وفاته النعيم، واستحق الجحيم، وقد يكون خاسِراً من بعض الوجوه دون بعض؛ ولهذا عمم الله الخسار لكل إنسان، إلا من اتصف بأربع صفات: (الإيمان بما أمر الله بالإيمان به)، ولا يكون الإيمان بدون العلم، فهو فـــرع عنـــه، لا يتم إلا به، و(العمل الصالح)، وهذا شامل لأفعال الخير كلها، الظاهرة والباطنة، المتعلقة بحق الله وحق عباده ، الواجبة والمستحبة، و(التواصي بالحق)، الذي هو الإيمان والعمل الصالح، أي: يوصي بعضهم بعضاً بذلك، ويَحثه عليه، ويُرغبه فيه، و(التواصي بالصبر) على طاعة الله، وعن معصية الله، وعلى أقدار الله المؤلمة.

فبالأمرين الأولين، يُكَمِّلُ الإنسانُ نفسَه، وبالأمرين الأخيرين يُكَمِّلُ غَيرَه، وبتكميل الأمور الأربعة، يكون الإنسان قد سَلِمَ من الخسار، وفاز بالربح العظيم.

" تيسر الكريم الرحمن بتفسير كلام المنان ".

الإمام الشافعي هو أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس ينتهي نسبه إلى المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب،..

فهو نسيب رسول الله – ﷺ – ، فالمطلب هو أخو هاشم، والد عبد المطلب.

ولد بـ غَزَّة سنة خمسين ومائة (١٥٠هـ)، ومات أبوه إدريس شاباً، فنشأ يتيماً في حجر أمه (الشفاء بنت أرقم بن نضلة)، فخافت عليه الضيعة، فتحولت به إلى مكة وهو ابن عامين، فنشأ بمكة، وحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين، وحفظ موطأ مالك وهو ابن عشر، وأخذ العلم ببلده عن: جماعة من الشيوخ، وارتحل – وهو ابن نيف وعشرين سنة، وقد أفتى وتأهل للإمامة إلى المدينة، فحمل عن الإمام مالك بن أنس (الموطأ) ، عَرَضَهُ من حفظه، وتفقه حتى صار من أئمة المذاهب الأربعة المشهورة، وتوفي بمصر سنة أربعة ومائتين (٢٠٤ هـ) .

" سير أعلام النبلاء " (٥/١٠) هذه إلماحة، وإلا فقد صنفوا في ترجمته ومناقِبه.

الكلام الذي نقله المصنف عن الشافعي لم أجده، إنما ذكر ابن كثير نحوه فقال: قال الشافعي، رحمه الله: لو تَدَبَّرَ الناسُ هذه السورة لكفتهم. وقال في موضع آخر: لَوَسِعَتهم. " تفسير ابن كثير " (٢٠٣/١) ، (٤٧٩/٨) ت سلامة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وروي عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال:[لو فَكَّرَ الناس كلهم في سورة العصر لكفتهم] . وهو كما قال؛ فإن الله تعالى أخبر فيها أن جميع الناس خاسرون إلا من كان في نفسه مؤمناً صالحاً، ومع غيره موصياً بالحق موصياً بالصبر. " الاستقامة " (٢٥٩/٢) ، " مجموع الفتاوى " (١٥٢/٢٨).

وقال الإمام ابن باز: أي: لو نظروا فيها وتأملوا فيها لكانت كافية في إلزامهم بالحق, وقيامهم بما أوجب الله عليهم, وترك ما حرمه عليهم؛ لأن الله بين أن الذين آمنوا، وعملوا الصالحات، وتواصوا بالحق، وتواصوا بالصبر هم الرابحون, ومن سواهم خاسر, وهذه حجة قائمة على وجوب التواصي, والتناصح, والإيمان والصبر, والصدق, وأنه لا طريق للسعادة والربح إلا بهذه الصفات الأربع.. إيمان صادق بالله ورسوله، وعمل صالح، وتواص بالحق، وتواص بالصبر.

" شرح ثلاثة الأصول " صـ(٢٧)

وقال العلامة ابن عثيمين: مراده رحمه الله أن هذه السورة كافية كافية للخلق في الحث على التمسك بدين الله بالإيمان، والعمل الصالح، والدعوة إلى الله، والصبر على ذلك، وليس مراده أن هذه السورة كافية للخلق في جميع الشريعة.

" شرح ثلاثة الأصول " صـ(٢٧)

وقال البخاري: باب العلم قبل القول والعمل.

والدليل قوله تعالى: ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك﴾[محمد:١٩]

فبدأ بالعلم قبل القول والعمل.

البخاري هو الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي، ولد في ليلة الجمعة (١٣/ شوال /١٩٤هـ)، ونشأ يتيماً، وتلقى العِلم حتى صار إماماً، وصنف كتابه " الجامع المسند الصحيح " فصار أصح كتب السُّنَّة على الإطلاق، وأجمع العلماء على قبوله، وصحة ما فيه، وتوفي سنة (٢٥٦). " البداية والنهاية " (٣٠/١١)

تقدمت سورة العصر، وفيها تقديم الإيمان المتضمن للعلم على العمل ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾؛ لأن العمل بلا عِلْمٍ من أسباب وقوع الخطأ في العمل نفسه، فمعارف الإنسان لا تكفي لمعرفة الشريعة دون تعلُّم؛ ولهذا أرسل الله تعالى الرسل، وأنزل الكتب، والذين عَمِلُوا بلا عِلْمٍ وقعوا في البدع، فنبدأ بما بدأ الله به.

قال السمعاني: فإن قيل: كيف قال: ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾، وقد علم؟

والجواب من وجهين: أحدهما: أن المراد منه هو الثبات على العلم لا ابتداء العلم.

والثاني: أن معناه: فاذكر أنه لا إله إلا الله، فعبر عن الذكر بالعلم لحدوثه عنده.

ويقال: الخطاب مع الرسول، والمراد منه الأمة. " تفسير السمعاني " (١٧٧/٥)

الفقرة الثانية

اعلم - رحمك الله - أنه يَجِبُ على كل مسلم ومسلمة تَعَلُّم هذه الثلاث المسائل، والعَمَل بهن: الأولى: أن الله خلقنا، ورزقنا، ولم يَتْرُكْنا هَملاً، بل أرسل إلينا رَسولاً، فمن أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار.

والدليل قوله تعالى: ﴿إنا أرسلنا إليكم رَسولاً شاهِداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رَسولاً (15) فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذا وبيلا (16)﴾[المزمل]

أورد المؤلف في هذه الفقرة الثانية من فقرات مقدمة الرسالة ثلاث مسائل: المسألة الأولى موضوعها إرسال الرسل لبيان الغاية من خَلْق العِبَاد (الجن والإنس).

يكون الإنسان حيناً من الدهر معدوماً، فيُوجِده الله تعالى في هذا الكون، ويجعل له عقلاً يفكر به، فيرى ويشاهد، ويرى نُظراءه، ويرى أن مصيره الموت، والفناء بعد الوجود، فأعظم ما تَرِدُ عليه من الأسئلة: لِمَاذا وُجِدت؟ وإذا كنتُ سأموت بعد وجودي فما الغاية التي يُريدها مني مَن خلقني في هذا الوجود؟

فلهذا جعل الله تعالى من عباده رسلاً، يَنزِل عليهم الوحي من عنده تعالى، فيُخبِرهم بالغاية من خَلْقِه لهم، ويُعطي هؤلاء الرسل من الآيات الخارقة للعادة ما يعترفوا أن هذه ليست من مقدورات البشر، فيتوجب عليهم تصديق هؤلاء أن الله تعالى كَلَّفهم بتبليغ خلقه رسالتَه، واتفقت كلمة الرسل على أن الغاية هي العبادة.

قال ربنا سبحانه: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾[النحل:٣٦]،

وقال تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾[الأنبياء:٢٥]

فقامت الحُجَّة على العباد بإرسال الرسل، وحصول البلاغ.

والآية التي ذكرها المصنف وهي قوله تعالى: ﴿إنا أرسلنا إليكم رَسولاً شاهِداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رَسولاً (15) فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذا وبيلاً (16)﴾[المزمل] وبيلاً أي: شديدا.

فيها لفتة مهمة، وهي أن كونه – تعالى – أرسل إلينا رَسولاً وأمرنا بطاعته يقتضي الفرضية والإلزام، وأن التهاون في ذلك سبب للعذاب، فإنه – تعالى – قد أرسل إلى من قبلنا رُسلاً، فخالفهم أناس فهلكوا، وعُذِّبُوا عَذاباً شديداً، كفرعون عليه لعنة الله تعالى، ومثله قوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم لوط، وقوم صالح..

الثانية: أن الله لا يرضى أن يُشْرَك معه أحد في عِبادته، لا مَلَكٌ مُقَرَّب، ولا نبي مُرسل، والدليل قوله تعالى: ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا﴾[الجن:١٨]

موضوع هذه المسألة: عدم رضى الله تعالى عن الشرك، وهذا دليل بطلانه مطلقا.

أمر الله تعالى بإفراده بالعبادة؛ لأنه هو المستحق لها دون ما سواه، ونهى أن يُشرك معه غيره؛ لأن العبادة خاصة به، وهو غني عن شرك المشرك؛ لأن المحتاج للعبادة هو العابد، لا المعبود، فالعابد حين يعبد الله تعالى يرجو الله تعالى ، فلو التفت لغيره وعَبَدَه كان ذلك انتقاصاً للخالق، وكأن العبد وجد نقصاً في الخالق فانصرف لغيره! فلهذا لا يقبل الله تعالى منه إلا العمل الخالص، فلو أشرك حُبط عمله.

روى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ ».

معنى ﴿وأن المساجد لله﴾: قال السمعاني: وفي المساجد أقوال: أحدها: أنها بمعنى السجود، وهي جمع مَسجد، يقال: سَجَدت سُجوداً ومسجدا. والمعنى: أن السجود لله يعني: هو المستحق للسجود.

والقول الثاني: أن المساجد هي المواضع المبنية للصلاة المهيأة لها، وهي جمع مسجد، ومعنى قوله: ﴿لله﴾ نفي الملك عنها، أو معناه: الأمر بإخلاص العبادة فيها لله.

والقول الثالث: أن المساجد هي الأعضاء التي يَسْجُدُ عليها الإنسان من جبهته ويديه وركبتيه وقدميه، والمعنى: أنه لا ينبغي أن يسجد على هذه الأعضاء إلا لله. " تفسير السمعاني " (٦/٧٠)

قوله تعالى: ﴿فلا تدعوا مع الله أحدا﴾ أي: لا تعبدوا معه غيرَه.

الدعاء قسمان:

١ــ دعاء المسألة، وهو: الطلب والسؤال بلسان المَقال، كقولك: اللهم اغفر لي.

٢ــ دعاء العُبادة، وهو: التَّقَرُّبُ إلى الله تعالى بأنواع الطاعات، فإن هذا يُعتبر دعاء، لكن بلسان الحال، فهو طلب للسلامة والجنة والغفران بلسان الحال، وهذا يدخل فيه جميع العبادات، فما صلى المصلي ولا زكى ولا صام، و.. إلا طالباً رضى الله تعالى، والفوز بجنته وعفوه، والنجاة من عذابه.

فإذن لا يصح أن يعترض فيقال: لماذا قال: وأن المساجد لله فلا تسجدوا لغيره!

فقوله تعالى: ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا﴾ شامل للسجود والطلب ولغيرهما من العبادات، فلا يجوز أن يُصرَف شيء منها لغير الله تعالى، وكل ما صح أن يقال عنه: عبادة. يكون صرفُه لغير الله تعالى شركا.

الثالثة: أن من أطاع الرسول، وَوَحَّدَ الله لا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله، ولو كان أقرب قريب.

والدليل قوله تعالى: ﴿لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الأيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾[المجادلة: ٢٢]

موضوع هذه المسألة الولاء والبراء.

ذكر في المسألة الأولى قضية الربوبية والألوهية، فأبان أن الله تعالى خلقنا، ورزقنا، ولم يتركنا هملاً من غير أمر ونهي، بل أبان لنا أنه إنما خلقنا لطاعة أمره، وترك نهيه، ثم ذكر المصنف أن الله تعالى أبان أيضاً أنه لا يرضى أن يُشرِك عبده في عبادته بأحدٍ مطلقاً، فلا يقبل من العمل إلا الخالِص له، وهنا يذكر المصنف أنَّ من عَلِمَ هاتين المسألتين وعَمِلَ بما دلتا عليه فهو من حزب الله تعالى الموحدين، ولا يجوز لمن كان كذلك أن يواليَ مَن خالف في المسألتين السابقتين، بل يجب عليه البراءة منه، ولو كان أقرب الناس إليه، كما تبرأ إبراهيم عليه السلام من أبيه، وقومه.

معنى الولاء: المحبة والتعاون والنُّصرة. والبراء: النبذ والعداوة والهجران.

فالولاء يجب أن يكون للمؤمنين، والبراءة تكون من الكافرين.

والوالدين لا بأس ببرهما بغير المعصية، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

أدلة الولاء والبراء كثيرة، منها:

قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾، وقال عز وجل: ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده﴾، وقال ربنا سبحانه: ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾[المائدة: 55 – 56]

وقال تعالى: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم﴾[التوبة: 71]، قال ابن جرير: وأما المؤمنون والمؤمنات، وهم المصدقون بالله ورسوله وآيات كتابه، فإن صفتهم أن بعضهم أنصار بعض وأعوانهم. " التفسير" (11 / 556)

وقال عزوجل: ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير﴾ [آل عمران: 28] أي: أن من يوالي أعداء الله تعالى فإن الله تعالى بريء منه ومن عمله.

تنبيه: معنى ﴿من حاد الله﴾ أي: من عادى الله تعالى.

(الفقرة الثالثة)

اعلم أرشدك الله لطاعته، أن الحنيفية ملة إبراهيم: أن تعبد الله وحده، مُخْلِصاً له الدين، وبذلك أمر الله جميع الناس، وخلقهم لها، كما قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون﴾ [الذاريات: ٥٦]، ومعنى يعبدون: يوحدون.

وأعظم ما أمر الله به التوحيد، وهو: إفراد الله بالعبادة، وأعظم ما نهى عنه الشرك، وهو: دعوة غيره معه، والدليل قوله تعالى: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا﴾[النساء: ٣٧]

لا زال المصنف غفر الله لنا وله يتلطف في طرح العلم بالإتيان بالدعاء قبل المسائل، (اعلم رحمك الله) ، (اعلم رحمك الله) ، (اعلم أرشدك الله لطاعته)، وهذا لأن العلم رحمة، فيجب على العالم أن تكون عنده رحمة بالمتعلمين، وأهل السنة هم أعلم الناس بالحق، وأرحم الناس بالخَلْق، كما قال الإمام ابن تيمية [3].

قوله: أرشدك. هو فِعل دعاء من الرُّشد: وهو سلوك الطريق الصحيح، وضده الغي، والغواية.

والطاعة هي موافقة الأمر الشرعي.

الحنيفية هي ملة الحنيف، والحنيف هو المُقْبِل على الله تعالى، المُعْرِض عما سِواه.

قال شيخ الإسلام: والحنيف المستقيم إلى ربه دون ما سواه . " الفتاوى " (٢٣٩/٥)

[3] انظر: " منهاج السنة " (١٥٨/٥).

قوله: الحنيفية ملة إبراهيم.

قال الله تعالى: ﴿وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين﴾[البقرة: ١٣٥]، وقال سبحانه: ﴿ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين (67) إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين﴾[آل عمران: ٦٧_٦٨]، وقال عزوجل: ﴿قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين (161) قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين (162)﴾[الأنعام: ١٦١_١٦٢]، وقال جل وعلا: ﴿ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين (123)﴾ [النحل: ١٢٣]

وليست الحنيفية هي ملة إبراهيم عليه السلام فحسب، بل هي ملة جميع الأنبياء، فكلهم مقبلون على الله تعالى، معرضون عما سواه، وكلهم دعاة إلى التوحيد.

قال ربنا سبحانه: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾[النحل:٣٦] ، وقال تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾[الأنبياء:٢٥]

قيل: وسبب إضافة المِلَّة إلى إبراهيم عليه السلام؛ لأن الله تعالى جعله إماماً لِمَن بعده في الخير، وقد كسر الأصنام، وعادى قومه، وتبرأ من أبيه؛ لأجل التوحيد، قال ربنا سبحانه: ﴿إن إبراهيم كان أمة﴾ أيْ: إماماً يُقتَدى به في الخير.

قوله: وأعظم ما أمر الله به التوحيد، وهو: إفراد الله بالعبادة.

قال العلامة ابن عثيمين: وإنما كان التوحيد أعظم ما أمر الله لأنه الأصل الذي ينبني عليه الدين كله، ولهذا بدأ به النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة إلى الله، وأمر من أرسله للدعوة أن يبدأ به. " شرح ثلاثة الأصول " صـ٤٠

قوله: وأعظم ما نهى عنه الشرك، وهو: دعوة غيره معه.

في الصحيحين عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ ؟ قَالَ : " أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ ". قُلْتُ : إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ

قال العلامة ابن عثيمين: وذلك لأن أعظم الحقوق هو حق الله عزوجل، فإذا فَرَّطَ فيه الإنسانُ فقد فَرَّطَ في أعظم الحقوق هو توحيد الله عز وجل، قال الله تعالى:﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾[لقمان: ١٣]، وقال تعالى:﴿ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما﴾[النساء: 48]، وقال عز وجل:﴿ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيدا﴾[النساء: 116] ، وقال تعالى:﴿إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار﴾[المائدة: 72] ، وقال تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [النساء: 48] ، وقال النبي ﷺ: «أعظم الذنب أن تجعل لله نِداً وهو خلقك»، وقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه مسلم عن جابر رضي الله عنه: « من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار » ، وقال النبي ﷺ: «من مات وهو يدعوا من دون الله نِداً دخل النار» رواه البخاري. " شرح ثلاثة الأصول " صـ٤١

التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام ([4]):

توحيد الربوبية: إفراد الله تعالى بأفعاله كالخَلْق، والرَّزْق، والتدبير، والإحياء،...

توحيد الألوهية: إفراد الله تعالى بأفعالنا التَّعَبُّديَّة، كالصلاة، والصيام، والزكاة،..

توحيد الأسماء والصفات: إفراد الله تعالى بأسمائه الحسنى، وصفاته العُليا، فنعتقد اختصاص الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العُليا وما تدل عليه من الكمالات، حتى وإن جاز تسمية المخلوق ببعض ما سَمَّى الله تعالى به نفسه ك عزيز، ورحيم، وحكيم،.. إلا أنه ليس العزيز كالعزيز، ولا الرحيم كالرحيم،.. فأسماء الله تعالى تدل على الكمالات المُطْلَقة، التي لا يَتَّصِفُ بها غيرُه، أما المخلوق فكل كمال فيه فهو مُستَمَدٌ من خالِقه، وكل كمال فيه نسبي مَحدود، ومن اعتقد أن للمخلوق ما هو لله تعالى من الكمال أو اعتقد أن لله من النقص ما للمخلوق فهو مشرك كافر.

والشرك ينقسم إلى قسمين:

شرك أكبر: وهو تسوية غير الله تعالى بالله في بعض ما يختص به الله، وهو كُفر مخرج من المِلَّة، مُحْبِطٌ لجميع العمل، مبيح الدم والمال، مُخَلِّدٌ في النار.

[4] دليل ذلك الاستقراء التام لنصوص الكتاب والسنة، وقد حاول بعض المبتدعة الطعن فيه، فرد عليهم علماء السنة، وقد صنف الشيخ عبد الرزاق البدر " الرد على من أنكر تقسيم التوحيد ".

شرك أصغر: وهو ما كان ذريعة ووسيلة للشرك الأكبر، كـ جَعْل ما ليس بسببٍ مشروعٍ سَبَباً، مثل: لُبس الحِلْقة والخيط والتميمة لدفع البلاء، ونحو ذلك، ومنه الرياء اليسير، وهو الذي يُسَمَّى بـ الشرك الخَفِي.

س: هل تصح توبة المُشرك؟ وما معنى قوله تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾[النساء: 48] ؟

ج: نعم، بلا ريب؛ لأن من تاب يتوب الله تعالى عليه مهما كانت خطيئته، وعلى هذا دلت الأدلة، قال ربنا سبحانه: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفـــوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم﴾[الزمر: ٥٣]، وقال عزوجل: ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يُغفر لهم ما قد سَلَف﴾[الأنفال: ٣٨]

والأدلة التي تدل على غفران جميع الذنوب بالتوبة كثيرة معلومة، وأما معنى قوله تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾[النساء: 48] أي: لمَن مات مصراً على ذلك، وإلا فقد كان كثير من الصحابة مشركين قبل الإسلام، وكم تاب من أناس من الكفر وأصبحوا مسلمين.

الفصل الثاني

فإذا قيل لك: ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها؟ فقل: معرفة العبد ربه، ودينه، ونبيه مُحَمَّداً صلى الله عليه وسلم.

يجب معرفتها؛ لأن غاية خلق الإنسان مرتبطة بذلك، وعليها مدار سعادته أو شقاوته.

روى أبو داود عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه قَالَ : خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدْ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، كَأَنَّمَا عَلَى رؤوسنا الطَّيْرُ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ : " اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ " . مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، زَادَ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ هَاهُنَا : وَقَالَ : " وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِهِمْ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ حِينَ يُقَالُ لَهُ : يَا هَذَا، مَنْ رَبُّكَ ؟ وَمَا دِينُكَ ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ ؟ " . قَالَ هَنَّادٌ : قَالَ : " وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ : مَنْ رَبُّكَ ؟ فَيَقُولُ : رَبِّيَ اللَّهُ. فَيَقُولَانِ لَهُ : مَا دِينُكَ ؟ فَيَقُولُ : دِينِيَ الْإِسْلَامُ. فَيَقُولَانِ لَهُ : مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ ؟ " . قَالَ : " فَيَقُولُ : هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَيَقُولَانِ : وَمَا يُدْرِيكَ ؟ فَيَقُولُ : قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ " . زَادَ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ : " فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : { يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا } " . الْآيَةَ. ثُمَّ اتَّفَقَا : قَالَ : " فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ قَدْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ

الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ " قَالَ : " فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا ". قَالَ : " وَيُفْتَحُ لَهُ فِيهَا مَدَّ بَصَرِهِ ". قَالَ : " وَإِنَّ الْكَافِرَ ". فَذَكَرَ مَوْتَهُ، قَالَ : " وَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ : مَنْ رَبُّكَ ؟ فَيَقُولُ : هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي. فَيَقُولَانِ لَهُ : مَا دِينُكَ ؟ فَيَقُولُ : هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي. فَيَقُولَانِ : مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ ؟ فَيَقُولُ : هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي. فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ ". قَالَ : " فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا ". قَالَ : " وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ "، زَادَ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ : قَالَ : " ثُمَّ يُقَيَّضُ لَهُ أَعْمَى أَبْكَمُ، مَعَهُ مِرْزَبَةٌ مِنْ حَدِيدٍ، لَوْ ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ لَصَارَ تُرَابًا ". قَالَ : " فَيَضْرِبُهُ بِهَا ضَرْبَةً يَسْمَعُهَا مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ ، فَيَصِيرُ تُرَابًا ". قَالَ : " ثُمَّ تُعَادُ فِيهِ الرُّوحُ ".

خَرَّجَهُ الإمام الوادعي في " الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين " (١/٦٦).

الأصل الأول: معرفة الرب تبارك وتعالى

فإذا قيل لك: من ربك؟

فقل: ربي الله الذي رباني، وربى جميع العالمين بنعمه، وهو معبودي ليس لي معبود سواه، والدليل قوله تعالى: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾، وكل ما سوى الله عالم، وأنا واحد من ذلك العالم.

فإذا قيل لك: بم عرفت ربك؟

فقل: بآياته ومخلوقاته، ومن آياته الليل والنهار، والشمس والقمر، ومن مخلوقاته السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهما.

والدليل قوله تعالى: ﴿ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون ﴾[فصلت: 37].

وقوله تعالى: ﴿إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾[الأعراف: 54]

معرفة الله تعالى أسمى الغايات، وأجل المَطالِب، وقد ذكر المُصَنِّفُ – رَحِمَهُ اللهُ تعالى – هنا أنَّها تكون بأمرين:

١_ النظر في آياته الشرعية.

٢_ النظر في آياته الكونية، وهي ومخلوقاته.

فالآيات الشرعية فيها ما يخاطب العقل بما لا ينكره، وهي تدل دلالة قطعية على الخالق سبحانه، كقوله تعالى: ﴿أم خُلِقوا من غير شيء أم هم الخالقون﴾، فإذا تبين أنهم لم يخلقوا أنفسهم، ولا خُلقوا من لا شيء؛ لأن العقل يقضي أن كل حادث لابد له من سبب يُحدثه، فالنتيجة القطعية أن الذي أوجدهم هو الخالق سبحانه.

ومعرفة الله تعالى تزداد وضوحاً بمعرفة صفاته: صفات الجلال، وصفات الجمال، وصفات العظمة.

فتدبر الآيات الشرعية توافق فِطرة الإنسان التي فَطَرَهُ الله تعالى عليها، وتُلْزِمه بالإيمان والتسليم التام للحق جل وعلا، والتفكر في آيات الله تعالى التي خلقها في هذا الكون من أحقرها وأصغرها إلى أضخمها وأكبرها تدل الناظر على عظيم قدرة البارئ جل وعلا، وعلى بديع إتقانه، ورؤية التراحم بين المخلوقات، وحماية الأم لصغارها ووجود المخلوقات التي ينتفع بها الناس والحيوانات المُسَخَّرات المُذَللات للإنسان فيركب عليها وينتفع بلبنها ويأكل لحمها.. تنبئ عن عظيم رحمة الخالق جل وعلا بالخلق.

وهكذا التأمل في المخلوقات الصغيرة والنظر في أجزائها تُبهر الناظر ببديع الصنعة الإلهية، والدخول في التفاصيل أكثر والدراسات حول الحيوان الواحد ومعرفة أسراره ووظائفه وحياته تُدهِش الناظر، بل الناظر في نفسه وطعامه يندهش.

وكذا الناظر في المخلوقات الضخمة كالجبال وما دونها والسماء العالية المبنية من غير أعمدة مرئية لنا توجب للعبد الإيمان بقوة الخالق وقدرته وأنه العلي العظيم.

والرب هو المعبود، والدليل قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون﴾[البقرة: 21-22]

قال ابنُ كثير رحِمه الله تعالى: الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة.

بعد أن ذكر الشيخ المُجَدِّد الكلام عن معرفة الرب تبارك وتعالى ذكر هنا أن هذا الرب الذي تعرفنا عليه من خلال النظر في آياته الكونية والشرعية هو الذي يُعبَد بحق فقط، وما سواه فعبادته ليست بحق؛ لأنه هو المتفضل علينا بالنعم، وهو القادر علينا، فلا يمنعه مانع منا، فأمرنا بيده، ومصيرنا إليه فأيُّ حق لغيره حتى يُعبد؟!

واستدل المصنف بآية البقرة، وهي أول نداء في كتاب الله تعالى، خاطب فيه جميع الناس، المسلم والكافر، بأن يعبدوا مَن خلقهم، وخَلَقَ مَن قبلهم مِن الأُمَم والمَخلوقات، ومَن أغْدق عليهم نِعَمَهُ ظاهرة وباطنه.

نص كلام ابن كثير: ومضمونه أنه الخالق الرازق مالك الدار، وساكنيها، ورازقهم، فبهذا يستحق أن يعبد وحده ولا يشرك به غيره " تفسير ابن كثير " (١/١٩٤)

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾ أي: هو الذي خلق، وهو المستحق للإلهية وحده لا شريك له. " تفسير ابن كثير " (١/١٩٤) ت سلامة

وأنواع العبادة التي أمر الله بها مثل: الإسلام، والإيمان، والإحسان، ومنه الدعاء، والخوف، والرجاء، والتوكل، والرغبة، والرهبة، والخشوع، والخشية، والإنابة، والاستعانة، والاستعاذة، والاستغاثة، والذبح، والنذر، وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها كلها الله تعالى.

بعد أن ذكر المؤلف رحمنا الله تعالى وإياه أن الرب تعالى هو المستحق للعبادة وحده شرع هنا بذكر أنواعاً من العبادة على سبيل التفصيل، وسيذكر الدليل الخاص لكل واحدة منها.

العبادة هي: اسم جامع لكل ما يُحِبُّه الله تعالى ويَرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

وهي تُعرَف بأمور: كالتنصيص على الأمر بها، وهذه أوضحها، ومن ذلك: ترتيب الثواب على فِعْلِها، ومَدْح فاعلها، وذم تاركها، وترتيب الوعيد على تاركها.

والعبادة تنقسم إلى قسمين: عبادة كونية، وعبادة شرعية

فالكونية هي: الذل للخالق في تصرفه الكوني، بحيث يروق العبد ويفقره ويمرضه ويعافيه ويميت أقاربه وأباعده ويميته هو، ولا يستطيع أن يخرج عن تصرف الخالق، والدليل قوله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ مَن في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا﴾.

والشرعية، هي: التذلل مع المَحبة والتعظيم، وهي عبادة المؤمنين، أما الكونية فيشترك الخلق كلهم فيها، فكلهم عباد الله تعالى طوعاً أو كرها.

ذكر المُصنف مراتب الدين الثلاث: الإسلام والإيمان والإحسان

الإسلام هو الاستسلام لله تعالى بالإتيان بالأعمال الظاهرة، وأولها الشهادتان

والإيمان مرتبة أخص من مرتبة الإسلام، فهي مع الأعمال الظاهرة تضيف الأعمال الباطنة القلبية كالمحبة والخوف والرجاء.

والإحسان هي المرتبة الأعلى فهي تحقيق لِكَلا المرتبتين، الإسلام والإيمان.

الدعاء لغة: الطلب والنداء.

شرعاً: سؤال العبد ربه حاجته، والتضرع إليه لطلب مرضاته، والنجاة من عذابه.

وله شروط كالإخلاص، وتحري الحلال في المَأكَل والمَشْرَب والمَلْبَس، وعدم الاعتداء في الدعاء، وتَيَقُّن الإجابة، وعدم الاستعجال في طلب الإجابة.

وله آداب كالوضوء، واستقبال القِبْلة ورفع اليدين والبدء بالحمد والثناء على البارئ جل وعلا ثم الصلاة على النبي ﷺ، والتوسل المَشروع بالأسماء الحُسنى والصفات العُليا، والتوسل بالعمل الصالح.

وقد صنفوا في الدعاء كُتُباً مستقلة.

الخوف لغة: الفزع ونقيض الأمن، وليس ضده الرجاء؛ ولهذا فهما يجتمعان.

شرعاً: تألم القلب من توقع مكروه في المُسْتَقْبَل.

ويقال: هو غَمٌّ يَلْحَقُ النَّفْس لتوقُّع مَكروه.

وينقسم الخوف إلى قسمين: ١_ خوف من الله تعالى ٢_ خوف من غيره

فأما الخوف من الله سبحانه فهو قسمان:

١_ خوفٌ واجِب، وهو: الذي يَحْمِلُ العبد على فِعل الواجب، وتَرْك المُحرَّم

٢_ خوفٌ مُستَحَب، وهو: ما يَحْمِلُ العبد على فِعل المُستَحَب، وتَرْك المَكروه.

وأما الخوف من غير الله تعالى فهو على ثلاثة أقسام:

١_ شِرْكٌ أكبر، وهو: خوفُ السِّر والتأله، كأن يخاف أن تضره آلهة المشركين!

٢_ شِرْكٌ أصغر، وهو: الذي يَحْمِلُ العبد على فِعل المُحرَّم، وتَرْك الواجب.

٣_ جائز، وهو الخوف الطبيعي الجِبِلّي، كالخوف من السباع والثعابين والعدو... ولكن ينبي للمرء أن يتعود الشجاعة، حتى يقل هذا الخوف عنده؛ لأنه لا منفعة له به، بل إن تجاوزه صار من أشجع الناس، والمُؤمِن الشجاع خير من الضعيف.

الرجاء لغة: الأمل والطمع وتوقع المَحبوب، وهو ضد اليأس والقُنوط.

شرعاً: طمع القلب بما عند الله من الثواب والنعيم مع بذل أسباب نيل ذلك.

ويجب الجمع بين الخوف من الله تعالى وبين رجائه ومَحبته.

قال ابن القيم: القلب في سيره إلى الله عز وجل بمنزلة الطائر، فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه، فمتى سلم الرأس والجناحان فالطائر جيد الطيران، ومتى قُطِعَ الرأس مات الطائر، ومتى فقد الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر، ولكن السلف استحبوا أن يُقَوِّي في الصحة جناح الخوف على جناح الرجاء، وعند الخروج من الدنيا يُقَوِّي جناح الرجاء على جناح الخوف. " مدارج السالكين " (١/٥١٣)

يُقَوِّي الخوف؛ لئلا يُسرف بالوقوع في المعاصي، ويُقَوِّي الرجاء لحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أنه سمع رسول الله – ﷺ – قبل موته بثلاثة أيام، يقول: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل». رواه مسلم

التوكل لغة: التفويض والاعتماد.

شرعاً: صِدْقُ اعتماد القلب على الله تعالى في جلب المنافع ودفع المضار.

وهو يتضمن أمرين: الثقة المُطْلَقَة، والاعتماد التام.

ويجوز الثقة بالمخلوق لكن دون الاعتماد التام، ومع ذلك فلا تسمى مجرد الثقة بالمخلوق توكلاً عليه، فالتوكل خاص بالله عزوجل؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾[آل عمران: ١٦٠]، والقاعدة أن تقديم ما حقة التأخير يُفيد الحصر، أي: فلا يتوكل المؤمنون إلا على الله تعالى وحده.

الرغبة لغة: الميل إلى الشيء وطلبه إن عُدِّيَ بـ في أو إلى، وأما إن عُدِّيَ بـ عن فهو النُّفور من الشيء وكراهيته، يقال: رَغِبَ فيه أو إليه. إذا أحبه وطلبه، ويقال: رَغِبَ عن الشيء. إذا نَفَرَت نفسُه منه، والله تعالى أعلم

شرعاً: محبة الوصول إلى ما عند الله تعالى من الثواب والنعيم.

الرهبة لغة: الخوف الشديد.

شرعاً: الخوف المَقرون بالخشوع والذل.

الخشوع لغة: السكون والذل.

شرعاً: تذلل القلب وخضوع الجوارح لله تعالى عند عبادته.

الخشية لغة: الخوف مع تعظيم.

شرعاً: خوف مقرون بمعرفة وعلم بالله. وهي أخص من الخوف.

الإنابة لغة: الرجوع.

شرعاً: الرجوع إلى الله بالتوبة وطاعته والإقبال عليه.

الاستعانة لغة: طلب العون.

شرعاً: اللجأ إلى الله تعالى، وطلب العون منه في الأمور كلها.

الاستعاذة لغة: طلب العَوذ، والعوذ هو: الحماية من المكروه.

شرعاً: طلب العَوذ من مكروه متوقع.

الاستغاثة لغة: طلب الغَوث، والغَوث هو: تفريج الشدة.

شرعاً: طلب الغَوث والنجاة من الله تعالى لتفريج الكربة والمكروه الحاصل.

فالفرق بين الاستعاذة والاستعاذة أن الاستعاذة طلب دَفْعِ المَكروه المُتَوَقَّع، بينما الاستغاثة طلب دَفْعِ المَكروه الواقع والحاصل، والله تعالى أعلم.

والدعاء والاستعانة والاستعاذة والاستغاثة بغير الله تعالى تجوز بشروط:

أن يكون من تدعوه تستعين أو تستعيذ أو تستغيث به حَيّاً، حاضِراً، قادراً على إجابتك وإعانتك وإعاذتك وإغاثتك.

وأما طلب ذلك من الأموات أو الغائبين فهو شرك، وطلب ذلك من الحاضرين لكن غير القادرين على التلبية كاستغاثة الغريق بالمشلول عن الحركة فهو سَفَهٌ .

فإن كان يعتقد فيمن لا يقدر أنه يضر وينفع فهو مشرك، والله تعالى أعلم.

الذبح لغة: قطع الحُلْقوم.

شرعاً: إراقة دم الحيوان المباح أكله بقطع حلقومه لله تعالى.

قال العلامة ابن عثيمين: ويقع على وجوه:

الأول: أن يقع عبادة بأن يقصد به تعظيم المذبوح له، والتذلل له، والتقرب إليه، فهذا لا يكون إلا لله تعالى على الوجه الذي شرعه الله تعالى، وصرفه لغير الله شرك أكبر، ودليله ما ذكره الشيخ رحمه الله، وهو قوله تعالى: ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له﴾[الأنعام: ١٦٢_١٦٣].

الثاني: أن يقع إكراماً لضيف أو وليمة لعرس أو نحو ذلك، فهذا مأمور به إما وجوباً أو إستحباباً؛ لقوله ﷺ: « من كـــان يؤمن بالله واليـــوم الآخـــر فليُكرم ضيفه » (5) ، وقوله ﷺ لعبد الرحمن بن عوف « أَوْلِمْ، ولو بشاة » (6) .

الثالث: أن يقع على وجه التمتع بالأكل أو الإتجار به ونحو ذلك فهذا من قسم المباح فالأصل فيه الإباحة لقوله تعالى: ﴿أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون﴾[يس: 71، 72] ، وقد يكون مطلوباً أو منهياً عنه حسبما يكون وسيلةً له.

" شرح ثلاثة الأصول " صـ٦٦_٦٧

النذر لغة: الإيجاب والإلزام.

شرعاً: إلزام العبد نفسه بطاعةٍ لله تعالى، ليست واجبة بأصل الشرع.

والأصل أن النذر مكروه، لكن من أقدم عليه وجب عليه الوفاء به.

والنذر ينقسم إلى أقسام تجدها في كُتب الفقه.

مراجع في تفسير الألفاظ: " لسان العرب " لابن منظور، " الصحاح " للجوهري ، " المُفردات " للراغب الأصفهاني ، " القاموس المحيط " للفيروز آبادي ، " مدارج السالكين " لابن القيم، " شروحات الرسالة ".

---

5 أخرجه البخاري برقم (٦٠١٨)، ومسلم برقم (٤٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

6 أخرجه البخاري برقم (٢٠٤٩)، ومسلم برقم (١٤٢٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

أدلة العبادات التي سبق سردها

والدليل قوله تعالى: ﴿وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا﴾[الجن:١٨]، فمن صرف منها شيئا لغير الله فهو مشرك كافر، والدليل قوله تعالى: ﴿ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون﴾[المؤمنون:١١٧]، وفي الحديث: « الدعاء مخ العبادة ».

والدليل قوله تعالى: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾[غافر: ٦٠].

ودليل الخوف قوله تعالى: ﴿فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾[آل عمران:١٧٥].

ودليل الرجاء قوله تعالى: ﴿فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا﴾[الكهف:١١٠].

ودليل التوكل قوله تعالى: ﴿وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾[المائدة:٢٣]، وقال: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ [الطلاق: ٣].

ودليل الرغبة والرهبة والخشوع قوله تعالى: ﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين﴾ [الأنبياء: ٩٠].

الحديث المَذكور ضعيف بهذا اللفظ؛ لكونه من طريق ابن لهيعة، أخرجه الترمذي برقم (٣٣٧١) عن أنس رضي الله عنه، لكنه صح بلفظ: « الدعاء هو العبادة » أخرجه الترمذي برقم (٢٩٦٩) وغيره عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.

ودليل الخشية قوله تعالى: ﴿فلا تخشوهم واخشوني﴾ [البقرة:١٥٠]

ودليل الإنابة قوله تعالى: ﴿وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له﴾ [الزمر: ٥٤]

ودليل الاستعانة قوله تعالى: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ [الفاتحة: ٤]، وفي الحديث: « إذا استعنت فاستعن بالله ».

ودليل الاستعاذة قوله تعالى: ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ ، و ﴿قل أعوذ برب الناس﴾

ودليل الاستغاثة قوله تعالى: ﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم﴾ [الأنفال: ٩]

ودليل الذبح قوله تعالى: ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أُمِرتُ وأنا أول المُسلمين﴾ [الأنعام: ١٦١_١٦٣]، ومن السنة: « لعن الله من ذبح لغير الله».

ودليل النذر قوله تعالى: ﴿يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا﴾ [الإنسان: ٧]

الحديث الذي ذكره في الاستعانة أخرجه الترمذي برقم (٢٥١٦) عن ابن عباس، وقد سبق أنه يُشرع الاستعانة بالمخلوق فيما يقدر عليه، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾ [المائدة: ٢]، وقول النبي ﷺ: «وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ، فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا، أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ» أخرجه مسلم برقم (١٠٠٩) عن أبي هريرة.

والحديث الذي ذكره في الذبح أخرجه مسلم برقم (١٩٧٨) عن علي.

الأصل الثاني: معرفة دين الإسلام

وهو: الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله.

وهو ثلاث مراتب: الإسلام والإيمان والإحسان.

وكل مرتبة لها أركان، فأركان الإسلام خمسة: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام.

فدليل الشهادة: قوله تعالى: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾ [آل عمران: ١٨]

ومعناها: لا معبود بحق إلا الله.

" لا إله " نافياً جميع ما يعبد من دون الله " إلا الله " مثبتاً العبادة لله وحده، لا شريك له في عبادته كما أنه لا شريك له في ملكه.

وتفسيرها الذي يوضحها قوله تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني فإنه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون﴾[الزخرف: ٢٦_٢٨]

وقوله: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضُنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾ [آل عمران: ٦٤]

الإسلام لغة الاستسلام، وشرعاً: ما ذكره المصنف بقوله: هو الاستسلام لله بالتوحيد.. إلخ. وهو قسمان:

١ـ عام، وهو: عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، فيدخل فيه جميع أديان الرسل السماوية، فكلها إسلام، وكل الأنبياء مسلمون، قال تعالى: ﴿يحكم بها النبيون الذين أسلموا﴾[المائدة: 44]، ﴿ربنا واجعلنا مسلمين لك﴾[البقرة: 128] ، ﴿وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين﴾[يونس: 84].

٢ـ خاص، وهو: الشريعة التي بُعِثَ بها النبي محمد ﷺ، وهذا خاص بهذه الأمة، ومن دخل فيهم كالمسيح عيسى عليه الصلاة والسلام، فإنه يتدين به حين ينزل. والدليل ما في الصحيحين عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ ».

فالشهادة برسالة نبينا محمد ﷺ خاصة بهذه الأمة؛ فهي التي طولبت بها.

وينقسم الإسلام أيضاً باعتبار آخر إلى قسمين:

١ ـ إسلام كوني، وهو الاستسلام لخالق الكوني في الخلق والرزق والإماتة و.. فالمخلوق مُستسلم لخالقه في هذا، وهذا يشترك فيه جميع المخلوقات، ودليله قوله تعالى: ﴿وله أسلم من في السماوات والأرض﴾[آل عمران: ٨٣].

٢ ـ إسلام شرعي، وهو الاستسلام لشرائع أنبيائه، وطاعتهم، وهذا خاص بالمؤمن. ودليله قوله تعالى: ﴿فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين﴾[الحج: ٣٤].

وقد سبق دليل أركان الإسلام عموماً في حديث ابن عمر، ويأتي أيضاً حديث جبريل في كلام المصنف، ومع ذلك فقد ذكر المصنف لكل ركن منها دليلاً مستقلاً، فذكر دليل الشهادة، وذكر معناها، وهو أنه لا معبود بحق إلا الله، ويقال: لا معبود حق إلا الله. ولا بد من تقدير الخبر بـ حق؛ لأن هناك أشياء عُبِدت لكنها لم تُعبَد بحق، فكل ما سوى الله تعالى مربوب، لا يستحق العبادة.

وأما الذين يفسرون كلمة التوحيد بالربوبية، فيقولون: معناها: لا خالق إلا الله، لا رازق إلا الله، لا محيي إلا الله، لا مميت إلا الله.. فهذا تفسير خاطئ؛ لأن الألوهية معناها العبادة، والإيمان بالربوبية بدون الألوهية لا يكفي، فمن المشركين من كان يقول إذا سُئل: من خلقك؟ بقوله: الله. ومع ذلك يُشرك في عبادته!

وأشار المصنف إلى ركني هذه الكلمة، وهما: النفي (لا إله)، والإثبات (إلا الله).

لكلمة الإخلاص ركنانِ هما النفيُّ والإثباتُ فاحفظنهما. (د. زيد المدخلي)

وأما شروطها فجمعها العلامة حافظ حكمي رحمه الله تعالى في " سلم الوصول " :

وبشروط سبعة قد قيدت ... وفي نصوص الوحي حقاً وردت

فإنه لم ينتفع قائلها ... بالنطق إلا حيث يستكملها

العلم واليقين والقبول ... والانقياد فادر ما أقول

والصدق والإخلاص والمحبه ... وفقك الله لما أحبه.

وزاد بعضهم شرط (الكفر بالطاغوت)، ونظمها بقوله:

عِلْمٌ يَقينٌ وإخلاصٌ وصِدقُكَ معْ مَحَبَّةٍ وانقيادٍ والقبولِ لها

وزِيدَ ثامِنُها الكُفرانُ مِنكَ بما سوى الإلهِ مِن الأشياء قد ألهَ.

ودليل شهادة أن مُحَمَّداً رسول الله قوله تعالى: ﴿قد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ [التوبة: ١٢٨]

ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وأن لا يُعْبَدَ الله إلا بما شَرَع.

ودليل الصلاة، والزكاة، وتفسير التوحيد: قوله تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة﴾ [البينة]

ودليل الصيام قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ [البقرة: ١٨٣]

ودليل الحج قوله تعالى: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾ [آل عمران: ٩٧]

ذكر هنا معنى شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ، ودليلها، وأدلة بقية أركان الإسلام الأربعة: الصلاة، الزكاة، الصيام، الحج مع القدرة.

ولشهادة أن محمداً رسول الله ﷺ ستة شروط، نظمها الشيخ فتح القدسي بقوله:

شروطُ مَن شَهِدَ أنَّ أحمدا رسولُ ربي سِتَّةٌ فلْتَعدُدا

أولها اعتقادُ قلبٍ جازمِ والثاني نُطقٌ مِن لسانٍ سالِمِ

مَحبةٌ أشد من حُب الولد والنفسِ، صدق كل ما عنه ورد

من ثابتٍ، واتبَعهُ في الأعمالِ وقوله قَدِّم على الأقوالِ

المَرتبة الثانية: الإيمان

وهو بضع وسبعون شعبة، فأعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان.

وأركانه ستة: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره.

والدليل على هذه الأركان الستة: قوله تعالى: ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين﴾ [البقرة: ١٧٧]

ودليل القدر: قوله تعالى: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ [القمر: ٤٩]

الإيمان لغة: التصديق مع الإقرار.

شرعاً: اعتقاد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالقلب والأركان.

ذكر المُصنف – رحمه الله تعالى – أن الإيمان بضع وسبعون شعبة..، ودليل ذلك حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ ».

فكلمة التوحيد قولٌ باللسان، واعتقاد ما دلت عليه اعتقاد بالقلب، وإماطة الأذى عَمَلٌ بالجوارح، والمَحبة والرجاء ونحوهما عمل بالقلب، وكل ذلك إيمان.

وأركان الإيمان ستة كما ذكر المصنف، وقد اجتمعت كلها في الآية التي ذكرها المصنف، وهي قوله تعالى: ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين﴾ [البقرة: ١٧٧]

ومثلها قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمَنوا آمِنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا﴾ [النساء: ١٣٦]

والمصنف ذكر للإيمان بالقدر دليلاً خاصاً، ينص عليه، وهو قوله تعالى: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ [القمر: ٤٩]

مع أن الإيمان بالقدر مذكور في الآية الأولى ضِمناً، فإن القدر، هو: قدرة الله تعالى، فهو داخل في الإيمان بالله؛ لأنه من الإيمان بصفاته سبحانه، لكن قد نَصَّ النبيُّ ﷺ عليه في الحديث مع تَنصِيْصه على الإيمان بالله تعالى.

والإيمان بالله – جل وعلا – يتضمن أربعة أمور:

١ــ الإيمان بوجوده.

٢ــ الإيمان بربوبيته.

٣ــ الإيمان بألوهيته.

٤ــ الإيمان بأسمائه وصفاته دون تحريف أو تعطيل.

قال الشيخ ابن عثيمين: والإيمان بالله تعالى على ما وصفنا يُثمِرُ للمؤمنين ثمرات جليلة، منها:

الأولى: تحقيق توحيد الله تعالى بحيث لا يتعلق بغيره رجاءً، ولا خوفاً، ولا يعبد غيره.

الثانية: كمال محبة الله تعالى، وتعظيمه بمقتضى أسمائه الحسنى وصفاته العليا.

الثالثة: تحقيق عبادته بفعل ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه.

" شرح ثلاثة الأصول " صـ٩٠

والإيمان بالملائكة يتضمن أمرين:

١ــ الإيمان بوجودهم. ٢ــ الإيمان بما صح به الخبر عنهم:

ــ من أسماء كجبريل وميكال وإسرافيل

ــ وأوصاف، كالعصمة والقوة، والكتابة والحِفظ،...

ــ وأعمال، مثل: حَمْل العرش، وكتابة أعمال العباد، والنزول بالوحي على الرسل، وقبض الأرواح، والتشكل بصورة الرجال، كما في حديث جبريل، وحديث المَلك الذي جاء لقبض موسى عليه السلام، والذين أتوا إلى لوط بصورة رجال،...

وكل من صح عنده دليل يتعلق بهم وجب عليه الإيمان به.

والإيمان بهم يُثمِر أموراً، منها:

ــ العلم بعظمة الله تعالى، فإن عظمة المخلوق تدل على عظمة خالقه.

ــ التواضع وعدم العُجب، فهؤلاء مع عظمتهم لا يعصون الله قط.

ــ العلم بضعف قدرات البشر، حيث يراهم مَن لا يرونه.

قال الشيخ ابن عثيمين: والإيمان بالكتب يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بأن نزولها من عند الله حقاً.

الثاني: الإيمان بما علمنا اسمه منها باسمه كالقرآن الذي نزل على محمد ﷺ، والتوراة التي أنزلت على موسى ﷺ، والإنجيل الذي أنزل على عيسى ﷺ، والزبور الذي أوتيه داود ﷺ، وأما لم نعلم اسمه فنؤمن به إجمالا.

الثالث: تصديق ما صح من أخبارها، كأخبار القرآن، وأخبار مالم يبدل أو يحرف من الكتب السابقة.

الرابع: العمل باحكام ما لم ينسخ منها، والرضا والتسليم به سواء فهمنا حكمته أم لم نفهمها، وجميع الكتب السابقة منسوخة بالقرآن العظيم قال الله تعالى: ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه﴾[المائدة: 48]

أي: حاكما عليه.

وعلى هذا فلا يجوز العمل بأي حكم من أحكام الكتب السابقة إلا ما صح منها، وأقره القرآن. " شرح ثلاثة الأصول " (٩٥)

والإيمان بالكتب يثمر:

_ معرفة أهمية العلم.

_ توقف التشريع على العلم.

_ عناية الله تعالى بإقامة الحجة على العباد.

الإيمان بالرسل يتضمن أربعة أمور:

١ _ الإيمان بصدق دعوتهم كلهم.

٢ _ الإيمان بمن علمنا من أسمائهم، كـ آدم، وإدريس، ونوح، وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ولوط، وهود، وشعيب، وموسى، وعيسى، ونبينا محمد صلى الله تعالى عليهم وسلم.

٣ _ الإيمان بما صح من أخبارهم.

٤ _ العمل بشريعة رسولنا محمد ﷺ.

والإيمان بالرسل يثمر: _ إقامة الحجة على العباد. _ العلم برحمة الله تعالى بخلقه. _ شكر الله على هذه المنة. _ مَحبة الرسل صلوات الله تعالى عليهم.

الإيمان باليوم الآخر يتضمن التصديق بكل ما صح عنه، مما يكون في القبر، وما بعد ذلك، من النفخ في الصور، والبعث، والوقوف، والحساب، والميزان، والحوض، والصراط، والجنة، والنار.

فكل من عَلِمَ بشيء وجب عليه الإيمان به، ويجب على كل مسلم أن يؤمن بالآخرة إجمالاً، بأنها دار الحساب والجزاء، وأن مآل الناس إما إلى جنة وإما إلى النار، والتفاصيل فرض كفاية، والله تعالى أعلم

وأعظم ثمار الإيمان باليوم الآخر: الاستعداد والتزود له بالطاعات، والصبر عليها، وهذا هو المقصود أصلاً من إخبار الله تعالى لنا به، والله تعالى أعلم، ومن ثماره تسلية المؤمن نفسه بالجنة عما يفوته من حظوظ الدنيا.

الإيمان بالقدر يتضمن الإيمان بمراتبه الأربعة: (العلم ثم الكتابة ثم المَشيئة ثم الخَلْق)، يروى عن الشافعي: عِلْمٌ كِتابةُ مَولانا مَشيئتُه وخَلْقُهُ وهو إيجادٌ وتَكوينُ

قال الشيخ ابن عثيمين: والإيمان بالقدر يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بأن الله تعالى علم بكل شيء جملة وتفصيلا، أزلا وأبدا، سواء كان ذلك مما يتعلق بأفعاله أو بأفعال عباده.

الثاني: الإيمان بأن الله كتب ذلك في اللوح المحفوظ، وفي هذين الأمرين يقول الله تعالى: ﴿ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير﴾[الحج: 70]، وفي صحيح مسلم– عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم: « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة » .

الثالث: الإيمان بأن جميع الكائنات لا تكون إلا بمشيئة الله تعالى، سواء كانت مما يتعلق بفعله أم مما يتعلق بفعل المخلوقين، قال الله تعالى فيما يتعلق بفعله: ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار﴾[القصص: 86] ،.. ، وقال: ﴿هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء﴾ [آل عمران:6] ، وقال تعالى فيما يتعلق بفعل المخلوقين: ﴿ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم﴾[النساء: 90]، وقال: ﴿ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون﴾ [الأنعام: 112]

الرابع: الإيمان بأن جميع الكائنات مخلوقة لله تعالى بذواتها، وصفاتها، وحركاتها، قال الله تعالى: ﴿الله خالق كل شيء﴾ [الزمر: 12]، وقال: ﴿وخلق كل شيء فقدره تقديرا﴾[الفرقان: 2].. " شرح ثلاثة الأصول " (١١٢).

وقال الشيخ ابن عثيمين: وللإيمان بالقدر ثمرات جليلة منها:

الأولى: الاعتماد على الله تعالى، عند فعل الأسباب بحيث لا يعتمد على السبب نفسه لأن كل شيء بقدر الله تعالى.

الثانية: أن لا يعجب المرء بنفسه عند حصول مراده، لأن حصوله نعمة من الله تعالى، بما قدره من أسباب الخير، والنجاح، وأعجابه بنفسه ينسيه شكر هذه النعمة.

الثالثة: الطمأنينة، والراحة النفسية بما يجرى عليه من أقدار الله تعالى فلا يقلق بفوات محبوب، أو حصول مكروه، لأن ذلك بقدر الله الذي له ملك السماوات والأرض، وهو كائن لا محالة وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور﴾ [الحديد: 22-23]

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: « عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن اصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له » رواه مسلم. " شرح ثلاثة الأصول " صـ(١١٥)

المرتبة الثالثة: الإحسان

ركن واحد وهو: « أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تَكُن تراه فإنه يراك ».

والدليل قوله تعالى: ﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ [النحل:١٢٨]، وقوله: ﴿وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين إنه هو السميع العليم﴾ [الشعراء:٢١٧_٢٢٠] ، وقوله: ﴿وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه﴾[يونس: ٦١]

الإحسان لغة: ضد الإساءة

شرعاً: إتقان مرتبتي الإسلام والإيمان على وجه التمام حتى يُصبح العبد في مقام عبوديته كأنه يرى الله تعالى، أو يستشعر مراقبته له.

الإسلام والإيمان من الألفاظ التي يقال فيها: إذا اجتمعا افترقا، وإن افترقا اجتمعا. بمعنى إذا ذُكُر أحدهما في موضع بمفرده شَمَل الآخر، وإن ذُكِرا معاً كان لكلٍ منهما معنىً، فيكون المراد الإسلام الأعمال الظاهرة، وبالإيمان الأعمال الباطنة، كما دل على ذلك أركانهما، ويكون الإحسان هو تحقيقٌ للمرتبتين معاً، والله تعالى أعلم.

والدليل من السنة حديث جبرائيل المشهور عن عمر رضي الله عنه قال: بينما نحن جلـــوس عند رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجل، شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرَى عليه أثر السفر، ولا يَعرِفُهُ منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد، أخبرني عن الإسلام. قال:« أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا ». فقال: صدقت! فعجبنا له يسأله ويصدقه.

قال: فأخبرني عن الإيمان. قال:« أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره ». قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان. قال: « أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ». قال: فأخبرني عن الساعة. قال:« ما المَسؤول عنها بأعلم من السائل ». قال: فأخبرني عن أماراتها. قال: « أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان ».

قال: فمضى، فلبثنا ملياً، فقال:« يا عمر أتدري من السائل؟ ». قلت: الله ورسوله أعلم. قال:« هذا جبرائيل أتاكم يعلمكم أمر دينكم ».

الحديث أخرجه مسلم برقم (٨)، وشرحه النووي ضمن شرح الصحيح، وابن رجب في " جامع العلوم والحِكَم "، وابن عثيمين في مجموع فتاواه (١٤٣/٣)، وغيرهم.

والحديث ذكر مراتب الدين الثلاث، وأركان كل واحد منها.

الأصل الثالث: معرفة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

وهو: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم.

وهاشم من قريش وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه وعلى نبيا أفضل الصلاة والسلام.

وله من العمر ثلاث وستون سنة، منها أربعون قبل النبوة، وثلاث وعشرون نبيا رسولا.

نبئ بـ ﴿اقرأ﴾، وأرسل بالمدثر.

وبلده مكة، وهاجر إلى المدينة.

بعثه الله بالنذارة عن الشرك ويدعو إلى التوحيد، والدليل قوله تعالى: ﴿يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر﴾ [المدثر:١_٧]، ومعنى ﴿قم فأنذر﴾: ينذر عن الشرك، ويدعو إلى التوحيد. ﴿وربك فكبر﴾ أي: عظمه بالتوحيد. ﴿وثيابك فطهر﴾ أي: طهر أعمالك عن الشرك. ﴿والرجز فاهجر﴾ الرجز: الأصنام، وهجرها تركها، والبراءة منها وأهلها.

يجب على كل مسلم أن يكون عنده قَدْرٌ من العلم بنبيه ﷺ، الذي يتبعه في دينه، فيعرف اسمه، ونَسَبَه، وبَلَده، ودعوته إجمالاً، والتفاصيل فرض كفاية على الأمة، والرجل المقصر في معرفة نبيه ﷺ رجل سوء! نسأل الله العافية، وفي هذه الأزمنة تجد مَنْ يعرف تفاصيل عن بعض الكفار المشهورين لا يعرف شيئاً منها عن نبيه!

هو أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ونسبه – ﷺ – إلى عدنان متفق عليه، وعدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السلام بلا خلاف، إنما الخلاف في عِدة الآباء الذين بين عدنان وإسماعيل، فعد بعضهم بينهما نحو أربعين رجلاً، وبعضهم عد دون ذلك. " تاريخ ابن الوردي " (١/٩٥).

أُمه/ آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن قصي بن كلاب.

ميلاده/ يوم الاثنين قيل العاشر وقيل الثاني عشر من ربيع الأول، في عام الفيل.

عن قيس بن مخرمة رضي الله عنه قال: وُلِدتُ أنا ورسول الله – صلى الله عليه وسلم – عام الفيل، فنحنُ لِدَتان. أخرجه الترمذي والحاكم وغيرهما، وفيه ضعف.

أسماؤه: محمد، أحمد، الحاشر، الماحي، العاقِب، المُقَفي، نبي التوبة، نبي الرحمة، نبي المَلحمة.

توفي أبوه وهو لا زال جنيناً في بطن أمه، ثم ماتت أُمه وهو ابن ست سنوات.

مرضعاته/ حليمة السعدية، وثُويبة جارية أبي لهب، التي أعتقها حين بشرته بولادة ابن أخيه نبينا محمد! ﷺ، ولكنه ما إن دعاه للإسلام صار من ألد أعدائه.

أعمامه/ الزبير، العباس، حمزة، (وهؤلاء مسلمون)، وأبو طالب، أبو لهب، الحارث، حجل، ضرار، المُقَوَّم (وهؤلاء كفار)، والله أعلم.

عماته/ عاتكة، صفية، أروى، (وهؤلاء مسلمات)، أُمَيمَة، أم حكيم البيضاء، برة.

إخوته من الرضاعة/ عبد الله، أنيسة، حُذافة، الشيماء (هؤلاء أبناء الحارث زوج حليمة السعدية)، مسرح بن ثويبة، عمه حمزة، وعبد الله بن جحش، فإنهما رضعا من ثويبة أيضاً، والله تعالى أعلم.

زوجاته/ أولهن خديجة بنت خويلد، وقد تزوجها وهو في الخامس والعشرين من عمره، ولم يتزوج غيرها حتى ماتت، وجميع أولاده منها خلا إبراهيم، سودة بنت زمعة، أم عبد الله عائشة بنت أبي بكر، حفصة بنت عمر، زينب بنت خزيمة، زينب بنت جحش، رملة بنت أبي سفيان، صفية بنت حُيي بن أخطب سيد بني النظير، أم سلمة هند بنت أبي أمية حذيفة المخزومية، ميمونة بنت الحارث الهلالية، جويرية بنت الحارث المُصطلقية.

جمع أطراف أسمائهن بعضهم بقوله: خس مع جزر صحة.

سراريه (إمائه)/ أم إبراهيم مارية القبطية (وهي التي أهداها له ملك مصر المُقَوقِس، ريحانة بنت زيد النظيرية.

أولاده/ القاسم وبه كان يُكنى، عبد الله (ويلقب بـ الطيب، الطاهر)، زينب، رقية، أم كلثوم، فاطمة، إبراهيم. فهم سبعة، وهم بهذا الترتيب، والله تعالى أعلم

أما رقية فتزوجها عثمان، فماتت، فتزوج أختها أم كلثوم، وأما فاطمة فتزوجها علي، وأنجبت له: الحسن والحسين ومحمد ورقية وأم كلثوم وزينب.

وأما زينب فتزوجها العاص بن الربيع، وأنجبت له علياً، وأمامة، وهذه أُمَامَة تزوجها علي بن أبي طالب بعد موت خالتها فاطمة رضي الله عن جميع الصحابة.

أخذ على هذا عشر سنين يدعو إلى التوحيد، وبعد العشر عُرِجَ به إلى السماء، وفُرِضَت عليه الصلوات الخمس، وصلى في مكة ثلاث سنين، وبعدها أمر بالهجرة إلى المدينة.

والهجرة: الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام.

والهجرة فريضة على هذه الأُمَّة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، وهي باقية إلى أن تقوم الساعة، والدليل قوله تعالى: ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلافأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفورا ﴾ [النساء: ٩٧_٩٩]

وقوله تعالى: ﴿يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون﴾ [العنكبوت: ٥٦]

قال البغوي رحمه الله تعالى: سبب نزول هذه الآية في المسلمين الذين بمكة لم يهاجروا، ناداهم الله باسم الإيمان.

والدليل على الهجرة من السنة قوله صلى الله عليه وسلم: « لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها ». (رواه أبو داود عن معاوية)

فلما استقر بالمدينة أُمِرَ ببقية شرائع الإسلام، مثل الزكاة والصوم والحج والجهاد والأذان، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وغير ذلك من شرائع الإسلام.

أخذ على هذا عشر سنين، وبعدها توفي صلوات الله وسلامه عليه، ودينه باق.

أشار المُصنف رحمنا الله تعالى وإياه هنا إلى مسائل: البدء بالدعوة إلى التوحيد، المعراج، وفرضية الصلاة، إقامة الصلاة قبل الهجرة، الهجرة إلى المدينة، واستقراره فيها حتى الوفاة، استمرار مشروعية الهجرة ما دام سببها قائماً، بقاء دين الإسلام.

بقاء النبي ﷺ مدة طويلة يدعو الناس فقط للتوحيد قبل كثير من التشريعات من الأدلة على أن أهمية التوحيد فوق كل شيء، فهو أهم العلوم، وأهم الأعمال.

بُعِثَ النبي ﷺ وهو ابن أربعين سنة، وبقي عشر سنين قبل المعراج يدعو للتوحيد، ثم بقي بمكة ثلاث سنوات، وهذا الأمور المذكورة في السير، وهي مشهورة، ثم هاجر إلى المدينة وهو ابن ثلاث وخمسين سنة، وبقي فيها عشر سنين، ثم مات وهو ابن ثلاث وستين سنة، صلوات ربي وسلامه عليه.

وقصة المعراج عن أبي ذر في البخاري برقم (٣٤٩)، ومسلم برقم (١٦٣).

عَنْ أَنَسٍ، قَالَ : كَانَ أَبُو ذَرٍّ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « فُرِجَ عَنْ سَقْفِ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ، فَفَرَجَ صَدْرِي ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا فَأَفْرَغَهُ فِي صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَلَمَّا جِئْتُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا قَالَ جِبْرِيلُ لِخَازِنِ السَّمَاءِ : افْتَحْ. قَالَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : هَذَا جِبْرِيلُ. قَالَ : هَلْ مَعَكَ أَحَدٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ، مَعِي مُحَمَّدٌ ﷺ. فَقَالَ : أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ. فَلَمَّا فَتَحَ عَلَوْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَإِذَا رَجُلٌ قَاعِدٌ عَلَى يَمِينِهِ أَسْوِدَةٌ، وَعَلَى يَسَارِهِ أَسْوِدَةٌ، إِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَسَارِهِ بَكَى، فَقَالَ : مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالِابْنِ الصَّالِحِ. قُلْتُ لِجِبْرِيلَ : مَنْ

هَذَا ؟ قَالَ: هَذَا آدَمُ، وَهَذِهِ الْأَسْوِدَةُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ نَسَمُ بَنِيهِ؛ فَأَهْلُ الْيَمِينِ مِنْهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ، وَالْأَسْوِدَةُ الَّتِي عَنْ شِمَالِهِ أَهْلُ النَّارِ، فَإِذَا نَظَرَ عَنْ يَمِينِهِ ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَى. حَتَّى عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَقَالَ لِخَازِنِهَا : افْتَحْ. فَقَالَ لَهُ خَازِنُهَا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُ، فَفَتَحَ ». قَالَ أَنَسٌ : فَذَكَرَ أَنَّهُ وَجَدَ فِي السَّمَاوَاتِ آدَمَ، وَإِدْرِيسَ، وَمُوسَى، وَعِيسَى، وَإِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ. وَلَمْ يُثْبِتْ كَيْفَ مَنَازِلَهُمْ، غَيْرَ أَنَّهُ ذَكَرَ أَنَّهُ وَجَدَ آدَمَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَإِبْرَاهِيمَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَلَمَّا مَرَّ جِبْرِيلُ بِالنَّبِيِّ ﷺ بِإِدْرِيسَ، قَالَ : مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، وَالْأَخِ الصَّالِحِ. فَقُلْتُ :« مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : هَذَا إِدْرِيسُ، ثُمَّ مَرَرْتُ بِمُوسَى فَقَالَ : مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالْأَخِ الصَّالِحِ، قُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : هَذَا مُوسَى، ثُمَّ مَرَرْتُ بِعِيسَى فَقَالَ : مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، قُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : هَذَا عِيسَى، ثُمَّ مَرَرْتُ بِإِبْرَاهِيمَ فَقَالَ : مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالِابْنِ الصَّالِحِ، قُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : هَذَا إِبْرَاهِيمُ ﷺ ، ثُمَّ عُرِجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوًى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الْأَقْلَامِ، فَفَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى أُمَّتِي خَمْسِينَ صَلَاةً، فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ حَتَّى مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى، فَقَالَ : مَا فَرَضَ اللَّهُ لَكَ عَلَى أُمَّتِكَ ؟ قُلْتُ : فَرَضَ خَمْسِينَ صَلَاةً، قَالَ : فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ. فَرَاجَعَنِي، فَوَضَعَ شَطْرَهَا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى قُلْتُ: وَضَعَ شَطْرَهَا، فَقَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ. فَرَاجَعْتُ فَوَضَعَ شَطْرَهَا، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ. فَرَاجَعْتُهُ فَقَالَ: هِيَ خَمْسٌ وَهِيَ خَمْسُونَ، لَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ. فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ : رَاجِعْ رَبَّكَ. فَقُلْتُ : اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي. ثُمَّ انْطَلَقَ بِي حَتَّى انْتَهَى بِي إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لَا أَدْرِي مَا هِيَ، ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا فِيهَا حَبَايِلُ اللُّؤْلُؤِ، وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ ».

قوله: ﴿يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون﴾ [العنكبوت: ٥٦]

قال البغوي رحمه الله تعالى: سبب نزول هذه الآية في المسلمين الذين بمكة لم يهاجروا، ناداهم الله باسم الإيمان.

الإمام البغوي هو محي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء الشافعي، المتوفى سنة (٥١٠هـ)، له مصنفات ثمينة، كالتفسير، والسنة، وغيرهما.

في تفسير البغوي (٣/٥٦٤): قال مقاتل والكلبي: نزلت في ضعفاء مسلمي مكة يقول إن كنتم في ضيق بمكة من إظهار الإيمان فاخرجوا منها إلى أرض المدينة إن أرضي يعني المدينة واسعة آمنة، قال مجاهد: إن أرضي واسعة فهاجروا وجاهدوا فيها. وقال سعيد بن جبير: إذا عُمِلَ في الأرض بالمعاصي فاخرجوا منها فإن أرضي واسعة. وقال عطاء: إذا أمرتم بالمعاصي فاهربوا فإن أرضي واسعة، وكذلك يجب على كل من كان في بلد يُعمَلُ فيها بالمعاصي ولا يمكنه تغيير ذلك أن يهاجر إلى حيث يتهيأ له العبادة. وقيل: نزلت في قوم تخلفوا عن الهجرة بمكة وقالوا نخشى إن هاجرنا من الجوع وضيق المعيشة، فأنزل الله هذه الآية ولم يعذرهم بترك الخروج ا.هـ

قوله:[والدليل على الهجرة من السنة قوله ﷺ: « لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها ».] رواه أبو داود وأحمد عن معاوية رضي الله عنه، والهجرة تلزم من كان في بلد الكفر، ولا يقدر على إقامة دينه، وأما من كان يقدر فتُستَحب له، ولا تجب. والبقاء بين الكفار يحتاج إلى قوة عِلْمٍ لدفع الشُّبُهَات، وقوة إيمانٍ لدفع الشهوات المحرمة، والله تعالى أعلم

قوله: فلما استقر بالمدينة أُمِرَ ببقية شرائع الإسلام، مثل الزكاة..

كان الأمر الأول ففي الرسالة هو تحرير الناس من عبودية الأصنام والأوثان إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، ثم تكامل نزول التشريعات شيئاً فشيئا.

في الصحيحين عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ : فُرِضَتِ الصَّلَاةُ رَكْعَتَيْنِ، رَكْعَتَيْنِ فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ، فَأُقِرَّتْ صَلَاةُ السَّفَرِ، وَزِيدَ فِي صَلَاةِ الْحَضَرِ.

قال العلامة ابن عثيمين: وظاهر كلام المؤلف رحمه الله أن الزكاة فرضت أصلًا وتفصيلًا في المدينة، وذهب بعض أهل العلم إلى أن الزكاة فرضت أولا في مكة وفي المدينة قدرت الأنصباء وقدر الواجب وأستدل هؤلاء بأنه جاءت آيات توجب الزكاة في سورة مكية مثل قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وآتوا حقه يوم حصاده﴾ [الأنعام: ١٤١] ، ومثل قوله تعالى: ﴿والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم﴾ [المعارج: 24-25] ، وعلى كل حال فاستقرار الزكاة وتقدير أنصابها وما يجب فيها وبيان مستحقيها كان في المدينة، وكذلك الأذان والجمعة، والظاهر أن الجماعة كذلك لم تفرض إلا في المدينة؛ لأن الأذان الذي فيه الدعوة للجماعة فرض في السنة الثانية، فأما الزكاة والصيام فقد فرضا في السنة الثانية من الهجرة، وأما الحج فلم يفرض إلا في السنة التاسعة على القول الراجح من أقوال أهل العلم وذلك حين كانت مكة بلد إسلام بعد فتحها في السنة الثامنة من الهجرة، وكذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرهما من الشعائر الظاهرة كلها فرضت في المدينة بعد إستقرار النبي ﷺ فيها وإقامة الدولة الإسلامية فيها.

" شرح ثلاثة الأصول " صـ١٣٩_١٤٠

وهذا دينه، لا خير إلا دل الأمة عليه، ولا شر إلا حذرها منه.

والخير الذي دل عليه: التوحيد، وجميع ما يحبه الله ويرضاه.

والشر الذي حذر منه: الشرك وجميع ما يكرهه الله ويأباه.

بعثه الله إلى الناس كافة، وافترض الله طاعته على جميع الثقلين: الجن والإنس.

والدليل قوله تعالى: ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا﴾ [الأعراف: ١٥٨]

وأكمل الله به الدين، والدليل قوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الأسلام دينا﴾[المائدة:٣]، والدليل على موته صلى الله عليه وسلم قوله تعالى: ﴿إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾[الزمر: ٣٠_٣١]

حَفِظَ الله تعالى لهذه الأمة دينها، وجعل لها أسانيد متصلة إلى نبيها ﷺ، وهذا من خصائص هذه الأمة، فكل الأديان السابقة لم يبق لها سند صحيح يصل بينها وبين نبيها؛ ولهذا فبعد موت أنبيائهم عليهم الصلاة والسلام حُرِّفَت، ونُسِخَت.

قال الله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ [الحجر: ٩].

قوله:[لا خير إلا دل..] دليله حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال:« إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ » أخرجه مسلم برقم [١٨٤٤].

أبان المؤلف رحمه الله تعالى أن الخير الذي دل النبي ﷺ عليه أمته هو التوحيد، وجميع الطاعات؛ لأن الخيرية الحقيقية مرتبطة بالعبادة، فهي سبب سعادة العبد، ولذا كان بعض السلف يقال له: أتعبتَ نفسك! فيقول: راحتهـــا أُريدُ.

وأما المنافع الدنيوية فمصيرها الزوال، والشيء الزائل مهما نفع سينقطع.

قوله: بعثه الله إلى الناس كافة..

دليل ذلك قول الله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ [الأنبياء: ١٠٧]

في الصحيحين عن جابر بن عبد اللهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي : نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا ؛ فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْمَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً ».

روى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ : أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ ».

وروى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ : " وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ، وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ".

قوله: وأكمل الله به الدين. أي: خَتَمَ الله تعالى به الديانات السماوية، فديانته وشريعته آخر الشرائع المنزلة من عند الله تعالى.

لكن يُشْكِلُ عليه أنه قال: والدليل قوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم... ﴾

فإن هذه الآية ليس دليلاً على أن الله تعالى أكمل الدين بالنبي ﷺ، وإنما فيها أن الله تعالى أكمل له الدين، فلعل صواب الجملة:[وأكمل الله له الدين، والدليل قوله..] .

وقد تكون الجملة كما هي، أي:[أكمل الله به الدين]، لكن يكون الهاء عائداً على غير النبي ﷺ، ولكن لا أدري على ماذا سيعود؟! هل يقصد التوحيد؟! لا شك أن هذا بعيد، فالتوحيد أصل الدين، وليس مكملاً له!

قوله: والدليل على موته..

في هذا رد على بعض المغفلين من الصوفية وأمثالهم، الذين يزعمون أن النبي ﷺ لم يمت، وأنه في قبره كالأحياء في الدنيا، يسمعهم، فإذا زاروه خاطبوه، وشكوا له!

لا شك أن قد صح أنه يرد السلام على من سلم عليه، فيما رواه الإمام أبو داود عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ ، ولكن ليس معنى ذلك أنه حي في الدنيا، وإلا فما فائدة دفنه تحت التراب ﷺ ؟! فهو حي حياة برزخية، ويرد السلام على من سلم عليه من أي موضع كان، وليس من جواب القبر فقط.

خـــاتمة

والناس إذا ماتوا يبعثون، والدليل قوله تعالى: ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾[طه: ٥٥]، وقوله تعالى: ﴿والله أنبتكم من الأرض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا﴾[نوح: ١٧_١٨].

وبعد البعث مُحاسبون ومَجزيون بأعمالهم، والدليل قوله تعالى: ﴿ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى﴾ [النجم: ٣١]

ومن كذب بالبعث كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير﴾ [التغابن: ٧]

أورد المصنف رحمه الله تعالى في ختام هذه الرسالة بعض الفوائد المتناثرة، التي لها تعلق بما يجب على الإنسان معرفته، والإيمان به.

فذكر هنا مسألة الإيمان بالبعث، وقد تقدمت عند الكلام أركان الإيمان، فهي تندرج تحت ركن الإيمان باليوم الآخر، فالبعث يكون بعد الموت حين يأذن الله تعالى للمَلَك بالنفخ في الصور، النفخة الثانية، فيُبعث جميع الموتى من قبورهم، مسرعين إلى أرض المحشر، ﴿ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون﴾.

والأدلة كثيرة في ذلك، فالتكذيب بذلك كفر؛ لأنه تكذيبٌ لما هو معلوم من الدين بالضرورة.

وأرسل الله جميع الرسل مبشرين ومنذرين، والدليل قوله تعالى: ﴿رُسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ [النساء:١٦٥].

وأولهم نوح عليه السلام، وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم، والدليل على أن أولهم نوح عليه السلام قوله تعالى: ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾ [النساء:١٦٣]

وكل أمة بعث الله إليها رسولا من نوح إلى محمد يأمرهم بعبادة الله وحده، وينهاهم عن عبادة الطاغوت، والدليل قوله تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ [النحل:٣٦]

وافترض الله على جميع العباد الكفر بالطاغوت والإيمان بالله.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود، أو متبوع، أو مطاع.

والطواغيت كثيرة، ورؤوسهم خمسة: إبليس لعنه الله، ومن عبد وهو راض، ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه، ومن ادعى شيئا من علم الغيب، ومن حكم بغير ما أنزل الله، والدليل قوله تعالى: ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ [البقرة:٢٥٦]، وهذا معنى لا إله إلا الله.

وفي الحديث:« رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله »، والله أعلم، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

ذكر المصنف رحمه الله تعالى أن الله تعالى أرسل جميع الرسل بأمرين: البِشارة، والنِّذَارة، والمراد التبشير بالجنة والثواب للمطيعين للرسل، والتحذير والتخويف من العقاب للعصاة.

قوله: وأولهم نوح عليه السلام.

قد أورد الآية دليلاً على هذا، ومن الأدلة أيضاً حديث أبي هريرة الطويل في الشفاعة، والشاهد منه: «فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ : يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، وَسَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا» متفق عليه

قوله:[وكل أمة بعث الله إليها رسولا من نوح إلى محمد يأمرهم بعبادة الله وحده، وينهاهم عن عبادة الطاغوت].

قد تقدم مضمون هذا في المسألة الأولى من الفقرة الثانية، وهي قول المؤلف: أن الله خلقنا ورزقنا، ولم يتركنا هملاً، بل أرسل إلينا رسولا..

فكل أمة من البشر خلقهم الله تعالى ورزقهم لم يتركهم هملاً، بل أرسل إليهم الرسل؛ لبيان الغاية من إيجادهم، وإقامة الحجة عليهم.

وقد يكون المقصود أن جميع الرسل دعوتهم واحدة، وإن اختلفت شرائعهم، فكلهم دعاة للتوحيد، وقد سبقت أدلة في ذلك، ومن الأدلة قوله ﷺ كما في الصحيحين عن أبي هر:« الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عَلَّاتٍ ، وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ، فَلَيْسَ بَيْنَنَا نَبِيٌّ ». العلات: جمع عَلَّة وهي الضَّرة، وبنو العلات: الإخوة من أب واحد وأمهاتهم مختلفة، والمراد أن أصل دين الأنبياء واحد وإن كانت شرائعهم مختلفة.

ختم المصنف رحمنا الله وإياه بالتحذير من عبادة الطاغوت

والطاغوت: مشتق من الطُّغيان، وهو مجاوزة الحد.

وشرعاً: قال ابن القيم: والطاغوت: كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع.

فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله؛ فهذه طواغيت العالم إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم عدلوا من عبادة الله إلى عبادة الطاغوت. " إعلام الموقعين عن رب العالمين " (١/٤٠)

ورؤوس الطواغيت الذين ذكرهم المصنف خمسة:[إبليس لعنه الله تعالى، ومن عُبِدَ وهو راض، ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه، ومن ادعى شيئاً من علم الغيب، ومن حكم بغير ما أنزل الله].

أما إبليس فهو زعيم لكل رؤساء الشر؛ لأنه قد جَلَّدَ نفسَه لعداوة الإنسان.

ومن عُبِدَ وهو يرضى أن يُعبد، كفرعون ونحوه، بخلاف عيسى عليه السلام فإن المسيحيين عبدوه بدون رضاه، فهو بريء من شركهم، فلذا لا يُسمى طاغوتا.

ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه طاغوت، ولو لم يَعبده أحد!

ومن ادعى شيئاً من علم الغيب المطلق الذي لا يُعلم بوسيلة ممكنة للبشر فهو طاغوت؛ لأن عِلْم الغيب المُطلَق خاص بالله العظيم سبحانه، وأما الغيب النسبي الذي يعلمه بعض الخلق دون بعض فادعاؤه ليس كُفْراً.

وأما من حكم بغير ما أنزل الله تعالى ففيه تفصيل للعلماء، فليس كل من حكم بغير ما أنزل الله تعالى يكون طاغوتاً كافِراً، فالله تعالى سمى الحكم بغير ما أنزل كفراً، ومرةً سماه ظلماً، ومرة سماه فِسقاً، فليست كلها في مرتبة واحدة.

قال العلامة ابن عثيمين:

١ــ مَنْ لم يَحْكُم بما انزل الله استخفافاً به، أو احتقاراً، أو اعتقاداً أن غيره أصلح منه، وانفع للخلق أو مثله فهو كافر كُفراً مخرجا عن المِلة

ومن هؤلاء من يضعون للناس تشريعات تخالف التشريعات الإسلامية لتكون منهاجا يسير الناس عليه، فإنهم لم يضعوا تلك التشريعات المخالفة للشريعة الإسلامية إلا وهم يعتقدون أنها أصلح وأنفع للخلق، إذ من المعلوم بالضرورة العقلية، والجبلة الفطرية أن الإنسان لا يعدل عن منهاج إلى منهاج يخالفه إلا وهو يعتقد فضل ما عدل إليه ونقص ما عدل عنه.

٢ــ ومن لم يَحكُم بما أنزل الله وهو لم يستخف به، ولم يحتقره، ولم يعتقد أن غيره أصلح منه لنفسه أو نحو ذلك، فهذا ظالم وليس بكافر وتختلف مراتب ظُلْمِه بحسب المحكوم به ووسائل الحكم.

٣ــ ومن لم يحكم بما أنزل الله لا استخفافا بحكم، الله، ولا احتقارا، ولا اعتقادا أن غيره أصلح، وأنفع للخلق أو مثله، وإنما حكم بغيره محاباة للمحكوم له، أو مراعاة لرشوة أو غيرها من عرض الدنيا فهذا فاسق، وليس بكافر وتختلف مراتب فِسقه بحسب المحكوم به ووسائل الحكم. " شرح ثلاثة الأصول " (١٥٣ــ١٥٤)

قوله: وهذا معنى لا إله إلا الله.

يعني تحقيق الكفر بالطاغوت، وترك عبادة كل ما سوى الله تعالى، والإقبال على عبادة الله تعالى وحده لا شريك هو عين معنى كلمة التوحيد (لا إله) يستحق أن نصرف له العبادة (إلا الله) وحده لا شريك له.

قوله: وفي الحديث:« رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله ».

أخرجه الترمذي برقم (٢٦١٦) عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه

والشاهد أن أهم الأمور التي يجب العناية بها فوق كل شيء الإسلام وهو التوحيد، فهو بالنسبة لأعمال الإنسان أشبه ما يكون بالرأس من البدن، والله تعالى أعلم.

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

ما كان من صواب فمن الله تعالى وحده، وما كان من خلل فمني ومن الشيطان.

والمؤمن مِرآة أخيه.

تم بحمد الله تعالى المقصود، يوم الأحد

الثالث من ربيع الأول لعام ثمانية وأربعين وأربعمائة وألف بعد الهجرة النبوية

الموافق للسادس عشر من أغسطس لعام ستة وعشرين وألفين بعد الميلاد كما قيل

٣ / ٣ / ١٤٤٨ هـ ، ١٦ / ٨ / ٢٠٢٦ م

الصومال _ مقديشو _ حي دينلي _ دار الشاكرين السلفية

فهرس

المقدمة.....(٥)

ترجمة المصنف.....(٧)

الفصل الأول.....(٩)

الفقرة الأولى.....(٩)

الفقرة الثانية .....(٢٠)

الدعاء نوعان: مسألة، وعبادة.....(٢٢)

الفقرة الثالثة .....(٢٧)

أقسام التوحيد .....(٣٠)

الفصل الثاني .....(٣٢)

الأصل الأول .....(٣٤)

الخوف وأقسامه.....(٣٩)

تعريفات بعض أنواع العبادة.....(٤١_٤٣)

الأصل الثاني.....(٤٦)

تقسيمات للإسلام.....(٤٧)

شروط كلمة التوحيد.....(٤٨)

شروط شهادة أنَّ محمداً رسول الله ﷺ.....(٤٩)

الأصل الثالث .....(٥٩)

الخاتمة .....(٧٠)

الغيب: مُطْلَق ونِسْبِي.....(٧٣)

الحُكْمُ بغير ما أنزل الله تعالى.....(٧٤)

تَعْلِيقٌ مَعْسُوْلٌ
على
ثلاثَة الأصولِ
للإمام المُجَدد
مُحمد بن عبد الوهاب النجدي
رحمه الله تعالى
(١١١٥هـ ـ ١٢٠٦هـ)
تعليق أبي محمد
عبد الله بن عَبد الباري بن محمد
التعَزي الماوي